الدورة الحادية والعشرون
لمؤتمر مجمع الفقه الإسلامي الدولي
1435هـ - 2013م

تجسيد الأنبياء والصحابة في الأعمال الفنية

إعداد
الدكتور فريد بن يعقوب المفتاح
وزارة العدل والشئون الإسلامية والأوقاف
مملكة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن مما لا شك فيه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هم خير الناس بعد الأنبياء، وأنهم صفوة هذه الأمة وخيارها، وأن الله شرفهم بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثنى عليهم في كتابه، وهم على رأس الذين عناهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيريّة في قوله: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ"،[1] وقد شهد لهم الله تعالى بهذه الخيرية في أكثر من موضع، ومنها قوله تعالى: {والسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [سورة التوبة:100]، وفيهم قال سبحانه: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً} [سورة الفتح :18]، وقال أيضا:{مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً} [سورة الفتح:29]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث الواردة في فضل الصحابة رضوان الله عليهم، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ"،(2) وإنما حازوا هذه الفضل، وذلك بحكم معاصرتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيامهم بواجب نصرته ، وموالاته، والتفاني في سبيل الله ببذلهم أموالهم وأولادهم ونفوسهم، ولهذا قال الإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي في مقدمة رسالته المشهورة عند ذكر باب في ما تنطق به الألسنة، وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات: "وأن خير القرون: القرن الذين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وآمنوا به"، [3] وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في (العقيدة الواسطية): "ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما مَنَّ الله به عليهم من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة، التي هي خير الأمم وأكرمها على الله". [4]

وقبل الحديث عن حكم تمثيل الصحابة لابد من ذكر تمهيد يتناول ثلاث مقدمات:

المقدمة الأولى: حقيقة التمثيل لغة واصطلاحا.

المقدمة الثانية: حكم التمثيل عموما.

---

[1] رواه البخاري (2652) . ومسلم (2533)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

[2] رواه البخاري (3673) من حديث أبي سعيد الخدري ، ورواه مسلم (2540) من حديث أبي هريرة.

[3] رسالة ابن أبي زيد القيرواني ص5.

[4] العقيدة الواسطية ص122.

المقدمة الثالثة: حكم تمثيل الأنبياء.

* * *

المقدمة الأولى حقيقة التمثيل لغة واصطلاحا:

التمثيل يدخل في معنى التصوير للشيء ومحاكاته، قال ابن منظور في لسان العرب: "مثل له الشيء: صوره حتى كأنه ينظر إليه .... ومثلت له كذا تمثيلاً: إذا صورت له مثالة، بكتابة وغيرها. وفي الحديث: أشد الناس عذاباً: ممثل من الممثلين، أي مصور. يقال: مثلت -بالتثقيل والتخفيف- إذا صورت مثالاً. ومثل الشيء: سواه، وشبهه به، وجعله مثله، وعلي مثاله. ومنه الحديث: رأيت الجنة والنار ممثلتين في قبلة الجدار، أي: مصورتين أو علي مثالهما ". (1)

أما المعنى الاصطلاحي: فقد جاء في (المعجم الوسيط) تعريفه: "عمل فني منثور أو منظوم، يؤلف علي قواعد خاصة، ليمثل حادثاً حقيقياً أو مختلقاً قصداً للعبرة".(2) وجاء تعريفه في موقع (الموسوعة الحرة) بأنه: "التمثيل هو تقمص الشخصيات الدرامية ومحاولة محاكتها على أرض الواقع وتجسيد ملامح وصفات تلك الشخصيات وأبعادها المتباينة في الرواية أو المسرحية المكتوبة"،(3) فهو إذن محاكاة لأحداثٍ واقعيةٍ أو متخيَّلةٍ بقصد التأثير في المشاهدين بطريقةٍ غير مباشرة، ويراد به تشخيص الأفراد الذين تتألف منهم القصة أو الرواية التي يراد عرضها تشخيصا يحكيها طبق أصلها الواقع أو المتخيل، أو هو بعبارة موجزة ترجمة حية للقصة وأصحابه.

المقدمة الثانية : حكم التمثيل عموما

عرفنا من خلال تعريف التمثيل أنه من المستجدات العصرية التي لم يعرفها السلف الصالح، والتي ليس فيها نص ظاهر، كما أنه ليس فيه إجماع من علماء الأمة في عصرنا، وإنما يكون الاجتهاد فيها نصيبه، ولذلك اختلف العلماء في حكم التمثيل من حيث هو، بغضِّ النظر عن محتواه وما اتصل به ما بين محرِّم ومبيح، فمَنْ حرَّمه جعله لوناً من ألوان الكذب والتزوير، والكذب محرَّمٌ باتفاقٍ، ومَنْ أباحه رأى أنه لا يعدو أن يكون نوعاً من الحكاية للواقع لا أنه إخبار عن الواقع بخلاف ما هو عليه، والظاهر جوازه، إذ الأصل إباحة الحكاية إذا لم تكن على وجه التنقُّص والازدراء للبراءة الأصلية، لما في التمثيل أثر في عقول الناس وأخلاقهم، وأنه أداة مناسبة في تبليغ الخير، ونشر حضارة الإسلام وسماحته من خلال مواقف الصحابة، ودفع الصور السلبية والشبهات المغلوطة والتي يتهم فيها الإسلام، وبخاصة في هذا الزمان، الذي كثرت فيه وسائل الاتصال الحديثة وتنوعت

---

(1) لسان العرب لابن منظور 613/11.

(2) المعجم الوسيط 854/2.

(3) الموسوعة الحرة، من موقع ويكيبيديا، المنشورة على شبكة الانترنت.

طرائق الشر ووسائل فساده، وأعيد تشكيل عقول الناس ووعيهم، فصار التمثيل مصدرا يتعقله كثير من الناس ويتفهمونه، وقد جاءت بعض الأدلة الشرعية المؤكِّدة لأصل إباحة المحاكاة:

فقد استدل بعضهم بقصة داود عليه السلام في سورة ص: {وَهَلْ أَتاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلى داوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قالُوا لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ (22) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ(23)}، وفيها أن ملكين قاما بتمثيل دور الأخوين أمام داود، وأن أحد الملائكة مثّل دور الأخ الظالم: {قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ}.(1)

ومن ذلك ما ذكره ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: " كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَحْكِي نَبِيّاً مِنْ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ ! اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"، (2) ففيه حكاية من النبي صلى الله عليه وسلم بفعله وقوله لِمَا جرى من ذلك للنبي عليه السلام، وهو دالٌّ على جواز هذه المحاكاة.

ومنه أيضاً ما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه في قصة مَنْ تكلم في المهد وفيه: "كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يَمُصُّ إِصْبَعَهُ"، (3) قال الحافظ ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: "وفيه المبالغة في إيضاح الخبر بتمثيله بالفعل". (4)

وقصة الأقرع والأعمى والأبرص، وهي قصة صحيحة ثابتة،(5) ووجه الدلالة أن الملك قد جاء في حالة تخالف ما هو عليه حقيقة، ليتحقق بذلك مقصد شرعي.

وحديث جبريل المشهور حينما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهيئة رجل سائل،(6) قال عمر رضي الله عنه: "بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ...ثم سأله عن الإيمان، والإحسان، واليوم الآخر، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم في آخر الحديث: "يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ"، والشاهد أن ما فعله جبريل مع النبي عليه

---

(1) استدل به الشيخ عصام تليمة ، أحد علماء الأزهر، وبحثه منشور على شبكة الانترنت.

(2) رواه البخاري (3477)، ومسلم (1792).

(3) رواه البخاري (3436).

(4) فتح الباري 6/ 483 .

(5) من حديث أبي هريرة، رواه البخاري (3464)، ومسلم (2964).

(6) رواه البخاري (50)، ومسلم (8) من حديث عمر رضي الله عنه.

السلام ضرب من التمثيل، ليثبت في أذهان الصحابة أهم حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وهو حديث أركان الإسلام والإيمان والإحسان، فكان ذلك مشهداً تمثيلياً أمام الصحابة رضوان الله عليهم، وغير ذلك من الدلائل والشواهد.

ولكن هذه الإباحة للتمثيل مشروطة بما إذا كان منضبطاً بالضوابط الشرعية، وخلا أيضاً عن المحاذير التي سنذكر أهمها لاحقا، فإن لم يكن منضبطا والتحق به شيء من المحرمات فإن أهل العلم قاطبة اتفقوا على حرمة التمثيل المتحلِّل من القيود الشرعية، المتضمِّن لِبَثِّ الفجور والمجون، والانحرافات الفكرية والخُلُقية بين الناس، ولأجل ذلك وضع القائلون بإباحة التمثيل شروطا وضوابط لا بد من التزامها، ومتى تخلفت هذه الشروط صار التمثيل محرما وعدّ مخالفة شرعية، ومن أهم هذه الشروط ما يلي:(1)

وجود الحاجة الداعية إليه شرعاً، تحقيقاً لمصلحة معتبرة، أو دفعاً لمفسدة متعينة، ومن تلك المصالح الدعوة إلى الأخلاق الحميدة، والأفكار السليمة، ونشر الصور الحضارية الرائعة.

ألاَّ يتضمن التمثيل دعوةً لمحرَّمٍ، من عقائدَ كفريةٍ، أو بدعٍ مردودة، أو معاصٍ وذنوبٍ.

أن لا يتضمن التمثيل كذباً وتزويراً للواقع والتاريخ، أو الأشخاص والطوائف، أو على الشرع والدين.

ألاَّ يقترن به محرَّم، كوجود آلات اللهو والمعازف، أو ظهور النساء للرجال بمظهر فيه تشجيع إلى نشر الفجور، وبث الرَّذيلة ، ودعوة إلى الإسفاف.

عدم تمثيل مَنْ يَحْرُم التشبه بهم، أو من يكون في تمثيلهم انتقاص من قَدْرِهم: كالأنبياء والملائكة، كما سوف نذكر ذلك لاحقا.

عدم تمثيل عوالم الغيب، فلا يجوز تمثيل يوم القيامة، كالبعث والحشر وعَرْضِ صحائف الأعمال ومشهد الحوض والورود على الصراط... وغير ذلك، وكذا أحوال الجنة والنار وسائر المغيبات، فإن في تمثيل هذه المشاهد قولاً على الله تعالى بغير علم، وتوهيناً من قَدْرها ومنزلتها.

ألاَّ يؤدي التمثيل إلى أمر محرَّم: كالصد عن ذكر الله، أو التشاغل عمَّا هو أوجب منه، أو تضييع للأوقات والطاقات والأموال بما لا يفي بمصلحة التمثيل.

المقدمة الثالثة : مثيل الأنبياء

إن المتتبع لأقوال الفقهاء المعاصرين لا يجد خلافا في حرمة تمثيل أدوار الأنبياء بأشخاصهم، وذلك لخصوصيتهم، ولمكانتهم العظيمة، فلا يجوز تمثيل أشخاصهم، أو التعرض لنقدهم، أو مساسها في التمثيل

(1) نقلا من كتاب أحكام التمثيل في الفقه الإسلامي، لمحمد بن موسى الدالي، من مطبوعات دار الرشد بالرياض- بتصرف.

وغيره، وهذه الخصوصية متصّورة فيهم، لأن التمثيل يتطلب تشبه القائم بالتمثيل بمن مثل دوره، والأنبياء هم أفضل البشر عند الله تعالى، وهم حجة الله تعالى على خلقه، كما قال سبحانه: {رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً}[سورة النساء:165].

وقد صدرت فتاوى كثيرة في تحريم تمثيل الأنبياء، وإليك جانبا منها:

1- فتوى مستفيضة من لجنة مختصة بالفتوى في مجلة الأزهر في عددها الصادر في رجب عام 1374، نذكر خلاصتها: [لندع القصص المكذوبة على أنبياء الله جانبا، ولنفترض أن التمثيل لا يتناول إلاّ القصص الحق، ثم نتساءل: كيف يمثل آدم أبو البشر وزوجه وهما يأكلان من الشجرة؟ وما هي هذه الشجرة؟ أهي شجرة الحنطة؟ أم هي شجرة التين؟ أم هي النخلة؟... وعلى أي حال نمثلهما وقد طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ؟ وهل نمثل الله تعالى وقد ناداهما: {أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ}[سورة الأعراف : 22].

وكيف يمثل موسى وهو يناجي ربه؟ وكيف يمثل؛ وقد وكز المصري فقتله؟ بل كيف يمثل وقد أحاط به فرعون والسحرة، ورماه فرعون بأنه مهين، ولا يكاد يبين؟ وكيف تمثل العقدة، التي طلب من الله أن يحلها من لسانه؟ وما مبلغ كفر النظارة والممثلين إذا أفلتت –ولا بد أن تفلت– منهم فلتة مضحكة أو هازلة حينما يتمثلون الرسولين وقد أخذ أحدهما برأس الآخر وجره إليه؟ وما مبلغ التبديل والتغيير لخلق الله الفطري ليطابق هذا الخلق الصناعي وقد عملت فيه أدوات الأصباغ والعلاج عملها؟.

وكيف يمثل يوسف الصديق وقد همَّت به امرأة العزيز، وهَمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه ؟ وما تفسير الهَمِّ في لغة الفن؟]

وجاء في الفتوى أيضا تحت عنوان: [تمثيل الأنبياء تنقيص لهم]، وفيه: [لسنا بحاجة بعد هذا إلى بيان أن من قصص الأنبياء ما لا يستطاع تشخيصه، وأن ما يستطاع تشخيصه من قصصهم فهو تنقيص لهم، وزراية بهم، وحط من مقامهم، وانتهاك لحرماتهم وحرمات الله الذي اختارهم لرسالته واصطفاهم لدعوته... على أنا لو افترضنا محالا، أو سلمنا جدلا بأن تمثيل الأنبياء لا نقيصة فيه ولا مهانة، فلن نستطيع بحال أن نتجاهل أنه ذريعة إلى اقتحام حمى الأنبياء وابتذالهم، وتعريضهم للسخرية والمهانة، فالنتيجة التي لا مناص منها ولا مفر: أن تشخيص الأنبياء تنقيص لهم أو ذريعة إلى هذا التنقيص لا محالة].

وجاء في نهاية الفتوى: [ومفاسد تمثيل الأنبياء كثيرة نكتفي منها بهذه الأمثلة، منها: تشكيك المؤمنين في عقائدهم، وتبديد ما وقر في نفوسهم من تمجيد هذه المثل العليا... ومنها: إثارة الجدل والمناقشة والنقد والتعليق حول هذه الشخصيات الكريمة وممثليها... وأنبياء الله ورسله مثل كلام الله عز وجل، فوق النقد والتعليق... ومنها: الكذب على الله ورسله؛ لأن التمثيل أو التخيل ليسا إلا لترجمة للأحوال والأقوال والحركات والسكنات، ومهما يكن فيها من دقة وإتقان فلا مناص من زيادة أو نقصان، وذلك يجر طوعا أو كرها إلى الكذب والضلال، والكذب على الأنبياء كذب على الله تعالى، وهو كفر وبهتان مبين والعياذ بالله...].

ثم ختمت الفتوى بهذه الخلاصة: [وجملة القول أن أنبياء الله تعالى ورسله معصومون بعصمة الله لهم من النقائص الخلقية والخلقية، وأن تمثيلهم تنقيص لهم أو ذريعة إلى التنقيص لا محالة، وكلاهما مفسدة أو مؤد إلى المفسدة التي من شعبها إثارة العصبيات والفتن التي لا يعلم مداها إلا الله تعالى...

وفي قصص الأنبياء كفاية عبرة، كما قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}[سورة يوسف: 111] وأن العبرة لا تزال ماثلة في مواطنها واضحة في معالمها ، ينتفع بها في القرآن الكريم، وصادق الأخبار، ولو شئنا لأطلنا، ولكن في هذا بلاغا].[1]

2- وصدر من المجمع الفقهي الإسلامي ما ملخصه: [اطَّلع على الخطاب الموجّه إلى سماحة الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد الشيخ عبد العزيز بن عبد اللَّه بن باز من مكتب الرئاسة في قطر برقم 5/5021، وتاريخ 25 ربيع الأول 1405هـ، ومرفقٌ به كتيِّب فيه صورة مرسومة يزعم صاحبُها أنها صورةٌ للنبي محمد صلى الله عليه وسلم... فأحالها سماحته بموجب خطابه رقم 2/318، وتاريخ 30 ربيع الآخر 1405هـ إلى مجلس المجمع الفقهي الإسلامي، لإصدار ما يجب حيال ذلك، وبعد أن اطَّلع المجلس على الصورة في دورته الثامنة، المنعقدة في مكة المكرمة بمقر الرابطة قرر ما يلي: [إنَّ مقام النبي صلى الله عليه وسلم مقام عظيم عند اللَّه تعالى، وعند المسلمين، وإن مكانته السامية، ومنزلته الرفيعة، معلومة من الدين بالضرورة، فقد بعثه اللَّه تعالى رحمة للعالمين، وأرسله إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وقد رفع ذكرَه، وأعلى قدرَه، وصلَّى عليه وملائكتُه، وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه، فهو سيد ولد آدم، وصاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم، وإنّ الواجب على المسلمين احترامه، وتقديره، وتعظيمه التعظيم اللائق بمقامه ومنزلته عليه الصلاة والسلام ، فإن أي امتهان له، أو تنقُّصٍ من قدره، يعتبر كفرًا، وردّة عن الإسلام، والعياذ باللَّه تعالى... ومثل النبي صلى الله عليه وسلم مثل سائر الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فيحرم في حقهم ما يحرم في حق النبي صلى الله عليه وسلم].[2]

* * *

وبعد هذا التمهيد الذي ضم هذه المقدمات الثلاث ندخل إلى موضوع البحث وهو الحديث عن حكم تمثيل الصحابة رضوان الله عليهم، وقد اختلف العلماء المعاصرين على ثلاثة أقوال بين مضيِّق، وموسع، ووسط.

فأما الفريق الأول: فذهب الى تحريم تمثيل الصحابة رضي الله عنه مطلقا، لا الخلفاء الراشدون ولا غيرهم.

---

(1) صدرت الفتوى بتاريخ 10من جمادى الآخرة سنة 1374، الموافق 3 من فبراير سنة 1955، بتوقيع عبد اللطيف السبكي، مدير التفتيش وعضو جماعة كبار العلماء، وطه محمد الساك، وحافظ محمد الليثي، وعبد الكريم جاويش مفتش العلوم الدينية والعربية.

(2) صدر من المجمع الفقهي الإسلامي في الفترة ما بين 27 ربيع الآخر سنة 1405، و8 جمادى الأولى 1405.

وأما الفريق الثاني المقابل للفريق الاول: فقد أباح تمثيل الصحابة رضي الله عنهم مطلقا، الخلفاء الأربعة وغيرهم، ولك مع ضوابط وشروط.

وأما الفريق الثالث: فقد جاء وسطا بين هذه الاقوال، فقد أباح تمثيل الصحابة رضي الله عنهم بالضوابط والقيود، واستثنى من ذلك كبار الصحابة كالخلفاء الأربعة، والعشرة المبشرين بالجنة، وأمهات المؤمنين ونحوهم.

وقد جعلت لكل فريق مبحثا، مع ذكر أدلتهم ونصوص أقوالهم، ثم عقدت مبحثا رابعا في الترجيح بين هذه الأقوال، والله الموفق.

* * *

المبحث الأول

مذهب القائلين بتحريم تمثيل الصحابة مطلقا

وبهذا القول صدرت فتوى هيئة كبار العلماء بالسعودية،[1] واللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء،[2] وقرار مجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامي،[3] وممن اختاره الشيخ محمد بن عثيمين،[4] والشيخ عبد العزيز بن باز،[5] وشيخ الأزهر الأسبق جاد الحق علي جاد الحق، [6]وغيرهم. [7]

ومن أبرز أدلة هذا القول:

الدليل الأول: ما لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المكانة العليا في الإسلام، فقد اتفق أهل العلم على أنهم صفوة هذه الأمة وخيارها، فلا يجوز التعرض لهم بتمثيل أو محاكاة حماية لجنابهم الرفيع.[8]

الدليل الثاني: أن تمثيل الصحابة ذريعة إلى السخرية والاستهزاء بهم، ويقضي على ما لهم من هيبة ووقار في نفوس المسلمين مع ما يقصده أرباب التمثيل من جعل ذلك وسيلة إلى الكسب المادي.[9]

ويناقش هذا الدليل من وجهين:

1- عدم التسليم أن تمثيل الصحابة رضي الله عنهم مدعاة للسخرية والاستهزاء بهم، بل قد يقال: إن المقصود الأول من هذه الأعمال هو تعظيمهم وحماية جنابهم، وإبراز مآثرهم ومفاخرهم الأخلاقية والحضارية العظيمة.

2- أن هذا الوجه المذكور إنما هو في حال ما إذا قام بهذه الأعمال رجال غلب عليهم عدم الصلاح والاستقامة، وكان القصد من هذا العمل هو الكسب المادي فقط، وقد تقرر في تحرير محل النزاع أن هذا الفئات لا يجوز بحال توليها أي عمل تمثيلي هادف.[10]

---

(1) في الدورة الثالثة فيما بين 1-1393/4/10، ينظر: مجلة البحوث الإسلامية 235/1.
(2) سوف نذكر نص الفتوى لاحقا.
(3) البيان المفيد عن حكم التمثيل والأناشيد لعبدالله السليماني ص95.
(4) لقاء الباب المفتوح 30/6، 13/30.
(5) فتاوى الشيخ ابن باز على شبكة الانترنت.
(6) بحوث وفتاوى إسلامية في قضايا معاصرة لجاد الحق علي جاد الحق 243/3.
(7) ينظر: أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي لمحمد الدالي ص193، حكم التمثيل في الدعوة إلى الله لعبدالله آل هادي ص78-79، حكم ممارسة الفن في الشريعة الإسلامية لصالح الغزالي ص338.
(8) مجلة البحوث الإسلامية 226/1.
(9) المصدر السابق 247/1.
(10) أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي لمحمد الدالي ص195.

الدليل الثالث: أن تمثيل الصحابة رضي الله عنهم –باعتبارهم نقلة الدين والشريعة– يفتح باب التشكيك على المسلمين في دينهم، ويستلزم أن يتخذ هدفا لبلبلة أفكار المسلمين نحو عقيدتهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهذه مفسدة عظيمة.

ومن القواعد المقررة في الشريعة أن ما كانت مفسدته محضة أو راجحة فإنه محرم، وتمثيل الصحابة رضي الله عنهم على تقدير وجود مصلحة فيه، فمفسدته راجحة، فرعاية للمصلحة وسدا للذريعة وحفاظا على كرامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوجه المنع.[1]

وقد نوقش هذا الدليل بما سوف نذكره لاحقا بأن القول بالجواز إنما يشترط فيه مراعاة هذه الضوابط.

وإليك جانبا من أقوال أرباب هذا المذهب:

1- صدر من مجمع الفقه التابع لرابطة العالم الإسلامي في الفترة ما بين 27 ربيع الآخر سنة 1405، و8 جمادى الأولى 1405 هذه الفتوى: [يُمنع التمثيل في حقّ الصحابة رضى الله عنه فإن لهم من شرف الصحبة، والجهاد مع رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم، والدفاع عن الدين، والنصح للَّه ورسوله ودينه، وحمل هذا الدين والعلم إلينا، ما يوجب تعظيم قدرهم، واحترامهم، وإجلالهم...] ثم خلص المجلس إلى هذا القرار: [إن تصوير أيِّ واحدٍ من هؤلاء حرامٌ، ولا يجوز شرعًا، ويجب منعه].

2- فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رقم(4723) في 1402/7/11 ما ملخصها:

أ) إن المشاهَد في التمثيليات التي تُقام، والمعهود فيها طابع اللهو، وزخرفة القول، والتصنّع في الحركات، ونحو ذلك، مما يلفت النظر، ويستميل نفوس الحاضرين، ويستولي على مشاعرهم، ولو أدَّى ذلك إلى ليٍّ في كلام من يُمثّله، أو تحريف له، أو زيادة فيه، وهذا مما لا يليق في نفسه، فضلاً عن أنه يقع تمثيلاً من شخص، أو جماعة للأنبياء، وصحابتهم، وأتباعهم فيما يصدرُ عنهم من أقوال في الدعوة والبلاغ، وما يقومون به من عبادةٍ، وجهادٍ، أداءً للواجب، ونصرة للإسلام.

ب) إن الذين يشتغلون بالتمثيل، يغلب عليهم عدم تحري الصدق، وعدم التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، وفيهم جرأة على المجازفة، وعدم مبالاة بالانزلاق إلى ما لا يليق، ما دام في ذلك تحقيق لغرضه من استهواء الناس، وكسب للمادة، ومظهر نجاح في نظر السواد الأعظم من المتفرجين، فإذا قاموا بتمثيل الصحابة ونحوهم، أفضى ذلك إلى السخرية، والاستهزاء بهم، والنيل من كرامتهم، والحط من قدرهم، وقضى على ما لهم من هيبة، ووقار في نفوس المسلمين.

ج) إذا قُدِّر أن التمثيلية لجانبين، جانب الكافرين كفرعون، وأبي جهل، ومن على شاكلتهما، وجانب المؤمنين كموسى، ومحمد عليهما الصلاة والسلام، وأتباعهم، فإن من يُمثّل الكافرين سيقوم مقامهم،

(1) مجلة البحوث الإسلامية 235/1، أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي لمحمد الدالي ص197

ويتكلم بألسنتهم، فينطق بكلمات الكفر، ويوجه السباب والشتائم للأنبياء، ويرميهم بالكذب، والسحر، والجنون.. إلخ، ويسفه أحلام الأنبياء، وأتباعهم، ويبهتهم بكل ما تسوله له نفسه من الشر، والبهتان، مما جرى من فرعون، وأبي جهل، وأضرابهما مع الأنبياء وأتباعهم، لا على وجه الحكاية عنهم، بل على وجه النطق بما نطقوا به من الكفر والضلال، هذا إذا لم يزيدوا من عند أنفسهم ما يُكسب الموقف بشاعة، ويزيده نكراً وبهتاناً، وإلا كانت جريمة التمثيل أشدّ، وبلاؤها أعظم. وذلك مما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه من الكفر، وفساد المجتمع، ونقيصة الأنبياء والصالحين.

د) دعوى أن هذا العرض التمثيلي لما جرى بين المسلمين والكافرين طريقٌ من طرق البلاغ الناجح، والدعوة المؤثرة، والاعتبار بالتاريخ، دعوى يردها الواقع، وعلى تقدير صحتها، فشرها يطغى على خيرها، ومفسدتها تربو على مصلحتها.

هـ) وسائل البلاغ، والدعوة إلى الإسلام، ونشره بين الناس كثيرة، وقد رسمها الأنبياء لأممهم، وآتت ثمارها يانعة؛ نصرة للإسلام، وعزة للمسلمين، وقد أثبت ذلك واقع التاريخ.

المبحث الثاني

مذهب القائلين بجواز تمثيل الصحابة جميعاً بشروط

وبهذا القول قال به بعض العلماء المعاصرين، منهم الشيخ محمد رشيد رضا،[1] والشيخ مناع القطان،[2] والدكتور قيس آل مبارك عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ، والدكتور علي بن محمد الصلابي.[3]

ومستندهم في هذا ما سبق ذكره في المقدمة الثانية في حكم التمثيل عموما، وأنهم اشترطوا في الجواز الأمور الآتية:[4]

1- أن يكون الشخص القائم بدور تقمص شخصية الصحابي، على درجة من التقوى والصلاح، ولم يسبق أن مارس أدوارا تمثيلية تتنافى مع أخلاق الإسلام.
2- أن تكون حركة الممثّل وألفاظه ومواقفه متناسبة مع جلال وقدر الصحابي الممثَّل.
3- أن تخرج تلك الأدوار بواسطة مخرج مسلم معروف الاستقامة.
4- أن تكون المناظر (الديكورات) والمكملات منسجمة تماماً مع الوضع الطبيعي غير المتكلف لحياة الصحابة.
5- ألا يصاحب التمثيل أمر محرم أو مخل بالآداب.

وإليك جانبا من أقوال من قال بهذا القول:

1- وفي ذلك يقول الشيخ محمد رشيد رضا –وهو اول من أفتى بجواز تمثيل الصحابة رضي الله عنهم– : [لا يوجد دليل شرعي يمنع تمثيل الصحابة أو أعمالهم الشريفة]، فقد جاء في فتاوى رشيد رضا هذا السؤال: هل يجوز تمثيل بعض الصحابة على شكل رواية أدبية خلقية تظهر محاسن ذلك الصحابي الممثل لأجل الاتعاظ لسيرته ومبادئه العالية مع التحفظ والتحري لضبط سيرته دون إخلال بها من أي وجهة كانت أم لا ؟.

الجواب: [لا يوجد دليل شرعي يمنع تمثيل حياة الصحابة أو أعمالهم الشريفة بالصفة المذكورة في السؤال]. (5)

---

(1) فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا 2348/6.
(2) التمثيلية التلفازية واستخدامها في مجال الدعوة لمحمد الأرجي ص 192.
(3) وسوف نذكر نص كلامهما في المسألة.
(4) ينظر: فتاوى الشيخ محمد رشيد رضا 2348/6.
(5) فتاوى الشيخ رشيد رضا 2348/6.

2- وذكر الدكتور قيس آل مبارك بأن التمثيل لا يوجد فيه دليل الشرعي يمنع تمثيل الصحابة بشرط الالتزام، وأن يكون تمثليهم على نحو يظهر محاسن ذلك الصحابي، لأجل الاتعاظ بسيرته مع التحفظ والتحري بضبط سيرته دون إخلال بها، وأنّ الأصل في ذلك هو الإباحة، إذا تم كان التمثيل تمثيلاً صحيحًا، وأن القول بالتحريم يحتاج إلى دليل، وليس في التحريم نص من حديث ولا أثر.

وقال الدكتور قيس: "إنّ التمثيل يصور الغائب تصويرًا، وكأنه ماثل أمام المشاهد، فالوصف والتمثيل يقوم مقام المعاينة، كما في الحديث: "لا تصف المرأة المرأة لزوجها حتى كأنّه ينظر إليها"، فنزل الوصف والتمثيل منزلة الرؤية الحسية، ومن هذا الحديث أخذ الإمام مالك أنّ الوصف في المبيع الغائب يرفع الجهالة عنه، فأجاز بيع الغائب على الصفة.

وشدّد الدكتور المبارك على أنّ للتمثيل أثرًا كبيرًا على النفس، فهو يقوم بما لا تقوم به الكتابة ولا ما يقوم به الكلام، مستدلاً بحديث البراء بن عازب في الموطأ أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سئُل ماذا يتقى من الضحايا؟ فأشار بيده وقال: أربعًا، وكان البراء يشير بيده ويقول: ويدي أقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار النبي صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة لأنّ التمثيل أوقع في النفس من الكلام المجرد، تذكيرًا لها كي لا تنسى، قال الحافظ أبو الوليد الباجي: [وأشار بيده ليكون في ذلك تذكرة له ومنع من النسيان].(1)

3- ويقول الدكتور علي محمد الصلابي: [إن مسألة تجسيد الصحابة رضي الله عنهم مسألة نفسية لا دليل شرعيا عليها، وأضاف أنه كان يذهب إلى أبعد من هذا، حيث كان يرى جواز تجسيد الخلفاء بشكل كامل دون الاكتفاء بالصوت والصورة من الخلف، كما يظهر في بعض المسلسلات، وأوضح الصلابي أن فتواه هذه التي قالها في ندوة علمية حضرها عدد كبير من العلماء – تأتي وفق الضوابط المعتبرة وشروط العلماء الذين أجازوا ذلك، كما أنها مبنية على أنه لا يوجد نص شرعي بالتحريم، وأن المسألة خاضعة للمصالح والمفاسد، إضافة إلى كون الفضائيات والمسلسلات أصبحت وسيلة التلقي لدى أبنائنا، وهي من الوسائل العظيمة في التأثير على الناس والتي يجب توظيفها بما يخدم الإسلام، كما يجب تنقيتها من السلبيات].

وأضاف الصلابي أن هناك فتوى بهذا الخصوص لمجموعة من كبار علماء الأمة ستخرج قريبا ضمن بحث علمي شامل.

(1) ينظر كتابه: من فتاوى العصر في نوازله ومستجداته ص217.

وأما مسألة ظهور الخلفاء الراشدون، فيمكن أن يَخْرُجُوْا للمصالح الكبرى المترتبة على ذلك، خصوصاً حين يخضع النص إلى مراقبة شرعية ومراقبة تاريخية، ويشرف عليه أهل الاختصاص، لتقديم العقيدة وتقديم الفكر والحضارة والثقافة من خلال سير هؤلاء العظماء الذين تعتز بهم الأمة الإسلامية.(1)

(1) من موقع أنا المسلم على شبكة الانترنت.

المبحث الثالث

مذهب القائلين بتحريم تمثيل كبار الصحابة، كالخلفاء الراشدين، والعشرة المبشرين، وآل البيت، والحسن، والحسين وغيرهم، ومعاوية رضي الله عنهم، وجواز تمثيل من سواهم كعُكَّاشة بن مِحْصَن، وصهيب الرومي، والنعمان بن بشير، ونحوهم.

وبهذا صدرت فتوى لجنة الأزهر،[1] واختاره بعض المعاصرين كالشيخ عبدالله علوان[2]والشيخ أحمد القضاة[3]، والدكتور يوسف القرضاوي، والدكتور سلمان العودة ، والدكتور عبد الله مبروك النجار، [4] وغيرهم.[5]

من أبرز أدلة هذا القول:

الدليل الأول: ما تقدم من دليل الجواز المطلق والمناقشات والاعتراضات الموجهة لأدلة المحرمين مطلقاً.

الدليل الثاني: التفريق بين كبار الصحابة وغيرهم إنما يرجع إلى جانب المفسدة في تمثيل أدوارهم راجح على جانب المصلحة.

الدليل الثالث: أن كبار الصحابة إنما منع من تمثيلهم لمكانتهم، وما لهم من المواقف التي نشأت حولها الخلافات، وانقسام الناس فيهم، بخلاف غيرهم فيجوز تمثيلهم.[6]

أقوال لأبرز القائلين بهذا الرأي:

1- لجنة الفتوى بالأزهر، نشرت الفتوى في مجلة الأزهر في عددها الصادر بتاريخ محرم سنة 1379، وذهبت الى عدم جواز من يمثل كبار الصحابة؛ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن والحسين ومعاوية وأبنائهم رضي الله عنهم جميعا، لمكانتهم، ولما لهم من المواقف التي نشأت حولها الخلافات وانقسام الناس إلى طوائف مؤيدين ومعارضين. أما من لم ينقسم الناس في شأنهم؛ كبلال وأنس وأمثالهما..، فيجوز ظهور من يمثل شخصياتهم بشرط أن يكون الممثل غير متلبس بما يمس شخصية من يمثله.

---

(1) مجلة البحوث الإسلامية 242/1.
(2) حكم الإسلام في وسائل الإعلام ص37.
(3) الشريعة الإسلامية والفنون ص380.
(4) وسوف نذكر نصوص فتاويهم لاحقا.
(5) ينظر: أحكام فن التمثيل في الفقه الإسلامي لمحمد الدالي ص197، التمثيلية التلفازية واستخدامها في مجال الدعوة لمحمد الأرجي ص191، مجلة البحوث العلمية 244/1.
(6) مجلة البحوث الإسلامية 243/1.

عدم جواز ظهور من يمثل زوجات النبي وبناته، لأن حرمتهم من حرمته عليه الصلاة والسلام، وقد قال الله تعالى في شأن نسائه: {يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ}، وبناته بذلك أولى.
أما من لم تثبت صحبته من الرجال المسلمين، وكذلك التابعين وأتباعهم ، فلا مانع من ظهور من يمثل شخصياتهم متى روعي في التمثيل ما من شأنه ألا يخل بكرامة المسلم.[1]

2- قدم الدكتور عبد الله مبروك النجار –عضو مجمع البحوث الإسلامية– بحثا في مؤتمر مجمع البحوث الإسلامية الرابع عشر في يوم الأحد 1431/3/14 دراسة موسعة في بيان الحكم الشرعي،(2) يذهب فيه أولا: إلى أن التمثيل أداة من أدوات التعبير المحببة لنفوس المشاهدين، ويمكن أن تستغل في التثقيف المفيد، وبث العلم النافع والأفكار الجيدة، وإرشاد الناس إلى ما يدفع عنهم المهالك ويأخذ بأيديهم إلى مسالك النجاة... ثم ذكر بعد ذلك إلى أن الحكم الشرعي لتمثيل أدوار الصحابة يختلف في وصفه بحسب حالة الصحابي، وما يتمتع به من شهرة اسمه وشيوع سيرته... وقال: إن الفقهاء يفرقون بين من رسخت صحبتهم من الصحابة، وبين من كانت صحبتهم عارضة لم تجد من المدة ما يترسخ فيها الخلق النبوي أو علمه لدى الصحابي، وبداية فإن ذوى الصحبة العارضة –وفقًا لتعريف الفقهاء– لن يدخلوا في إطار حظر تمثيل حياتهم، وقد يكون في هذا التمثيل وسيلة لنشر ما خفي من حياتهم وتاريخهم، فيسهل للناس الاقتداء بهم والوقوف على منهجهم في التعامل مع مبادئ الشرع الشريف وفي هذا كفاية للقول بمشروعيته ضرورة أن الأصل فيه الإباحة وليس الحظر.

وإذا ما تم استبعاد دور الصحبة العارضة من حظر تمثيل أدوارهم، يبقى –بعد ذلك– دور الصحبة الراسخة من الصحابة، فمناط الحكم هو رسوخ الصحبة، واشتهارها واستفاضة تاريخها وما قدمته من المآثر لدين الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللدعوة إلى الإسلام وحضارته، ويقوم هذا على الأسس الآتية:

1- رسوخ الصحبة واشتهارها وليس مجرد وجودها.

2- وسائل إثبات رسوخ الصحبة واشتهارها.

3- تفاضل الصحابة فيما بينهم

4- تحديد فئات الصحابة وفقًا لقواعد التفضيل فيما بينهم.

ثم يذهب الدكتور مبروك إلى أن الصحابة ينقسمون إلى طبقتين:

الطبقة الأولى: غالب الصحابة الذين لا يحظون بطول مدة الصحبة، ولا يوجد لهم في أذهان جماهير المسلمين –سلفًا وخلفًا– صورة محددة تجعلهم يحظون بمزيد ودهم واحترامهم مع ثبوت العدالة لهم، وعددهم لا يحصى وفقًا لما قرره العلماء، وهؤلاء يجوز تمثيل أدوار حياتهم بثلاثة شروط:

---

(1) نقلا عن موقع منتديات رسالة الاسلام بإشراف الشيخ الدكتور عبد العزيز الفوزان، على شبكة الانترنت.
(2) نقلا عن موقع الفقه الشرعي على شبكة الانترنت.

الشرط الأول: أن تكون الغاية من التمثيل هي إبراز ما في حياة هؤلاء الصحابة من معالم الخير البارزة، ومدى تمسكهم بدين الله تعالى، وما قدموه من غال ونفيس من أجل انتصار مبادئه وانتشار عدله وسماحته، والبعد عن جوانب الفتن التي تحتمل اختلاف وجهات النظر في حياة هؤلاء الصحابة، حتى لا نسيء إليهم من قبل المتلقين الذين قد يسيئون الظن بهم أو لا يحسنون فهم ما أسفر عنه اجتهادهم.

الشرط الثاني: أن يتم التمثيل بأسلوب صادق بعيد عن المبالغة التي تخرج -بالسرد الموضوعي- عن صدقه وحياده، وبعيد عن الإثارة التي قد تغرى على التقليد أو تغليب جانب المفسدة على المصلحة في العمل.

الشرط الثالث: أن يكون الممثل -رجلاً كان أم امرأة- محمود السمعة، مرضى السيرة لا يؤخذ عليه ما يقدح في عدالته أو يجرح نزاهته، وأن يكون مشهودًا له بالخلق الجميل والفكر المستقيم.

الطبقة الثانية: مشاهير الصحابة: ويقصد بمشاهير الصحابة وفقًا للمعايير المحددة لموضع كل منهم في الصحبة الشريفة من جهة طولها ورسوخها وشهرتها واستفاضتها مما يرسم لكل منهم صورة ذهنية سامية في عقول المسلمين، وهم فئتان:

الفئة الأولى: وهى فئة آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، والمراد بهم زوجاته -أمهات المؤمنين- وفاطمة، والحسن، والحسين، والسيدة زينب، والخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وتمام العشرة المبشرين بالجنة، وهم: أبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبى وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وسعيد بن زيد رضي الله عنهم أجمعين.

الفئة الثانية: وهم ممن تنطبق خصائص الفئة الأولى من مشاهير الصحابة عليهم، فيكونوا في مركز شهرة وأفضلية تتساوى مع العشرة المبشرين بالجنة، وأسماء الصحابة من تلك الفئة يتم فحص حالتهم، ويقرر حكم تمثيل أدوار حياتهم وفقًا لما يقرره أهل العلم والاختصاص في الأمة.

ثم يعقب الدكتور مبروك إلى أنه لا يجوز تمثيل أدوار حياة هاتين الفئتين، وذلك لغلبة المفسدة في هذا التمثيل على المصلحة، وذلك للأسباب الآتية:

1- إن هذه الفئة من الصحابة قد بلغت درجة من السمو والشموخ المستفادين مما ثبت لهم شرعًا من العدالة والاختصاصات الذاتية التي لا توجد إلا فيهم، ولم تثبت إلا لهم، ومن ثم سيكون تمثيل أدوار حياتهم لونًا من الكذب الصارخ الذي لا يوجد له صارف، أو يتوافر له باب من أبواب التأويل، والكذب محرم بالكتاب والسنة وإجماع علماء الأمة -سلفًا وخلفًا- فلا يجوز فعله.
2- إن قيام الممثل بأداء أدوار حياتهم -حال استحالة مساواته بهم أو اقترابه من منزلتهم- سوف تتضمن تطاولاً على مكانتهم العالية ومقاماتهم الرفيعة، وفى هذا إيذاء لهم، والإيذاء منهى عنه.

3- إن تمثيل أدوار حياتهم -حال عدم مساواة الممثلين لهم مع شيوع الانحراف أو عدم الالتزام عند كثيرين منهم، أو في الوسط الذي يعملون فيه، مع إحسان الظن بهم على فرض صحة ما يشاع عنهم- سوف يؤدى إلى اهتزاز الصورة المستقرة في أذهان الناس لتلك القمم الشامخة، وقد يؤدى ذلك إلى تشويه سيرتهم عند المشاهدين، وفى هذا مدعاة إلى عدم حبهم والانصراف عنهم مع أن المسلمين مأمورون -جميعًا- بحب صحابة رسول الله ومنهيون عن إساءة الظن بهم، أو التطاول على مقاماتهم.

4- من الثابت أن أصحاب الشهرة من الصحابة الذين وردت أسماؤهم حصرًا يشتركون مع الرسل في حرمة الكذب عليهم، ومن ثم عدم جواز تمثيل أدوار حياتهم؛ وذلك لوجوب اتباعهم والاقتداء بهم، وقد ورد النص في بعضهم على وجوب الاقتداء بسنتهم كوجوب الاقتداء بالكتاب والسنة؛ وذلك فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح المشهور، أنه قال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ"، ومن ثم كان لهؤلاء الصحابة ما للرسل في حكم عدم جواز الكذب عليهم بتمثيل أدوار حياتهم، حيث لا يجوز تمثيل حياة الأنبياء أو الرسل -بأي وجه- لما فيه من الكذب عليهم، وقد توعد النبي صلى الله عليه وسلم من يكذب عليه بقوله: "من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار"، وجميع الأنبياء والرسل في ذلك سواء، كما أن لغير الخلفاء الراشدين من العشرة المبشرين بالجنة حكم الخلفاء الراشدين الأربعة، ولآل بيت النبي وما للعشرة المبشرين بالجنة من المنزلة والمكانة التي تحرم الكذب عليهم بتمثيل أدوار حياتهم من باب أولى.

5- إن جانب المفسدة في تمثيل أدوار حياة مشاهير الصحابة المقصودين بذلك الحكم راجح على جانب المصلحة، وذلك حال عدم قيام الداعي لارتياد هذا الأسلوب من بيان حياتهم وهو ملبد بتلك المفاسد، التي تصادر على المطلوب منها وتجعل عدمها خيرًا من وجودها، وفى غيرها -من وسائل التعبير عن حياة أولئك الأئمة الأخيار- ما يغنى عنها كالكتابة الصحيحة، والمخاطبة الرصينة، والمحاورة الحكيمة، ومن ثم يكون التمسك بارتياد طريقها مع تلبسها بالمفاسد، وحال عدم وجود الضرورة الداعية لاستعمالها من وسائل التعليم التي هي أكثر منها صلاحًا وأتم فائدة نوعًا من الاعتساف الذي يجعل عدم الجواز واضحًا فيها.

أما الدكتور يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين فقد أجاز تجسيد أدوار الصحابة بضوابط شرعية، مستثنيا الأنبياء، وأمهات المؤمنين، والخلفاء الراشدين، وثلاثة فقط من العشرة المبشرين بالجنة، هم: أبو عبيدة عامر بن الجراح، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، لما لهم من منزلة خاصة بين الصحابة والمسلمين، وأجاز تمثيل الثلاثة المبشرين بالجنة، وهم: سعيد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص -رضوان الله عليهم- وباقي الصحابة الكرام، وعلل القرضاوي فتواه بالجواز بقوله:[1] [إن ما استقر عليه

(1) موقع الدكتور يوسف القرضاوي على شبكة الانترنت.

الفقه المعاصر من مدة طويلة أنهم لم يحرموا تمثيل جميع الصحابة، وإنما حرموا تمثيل الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة وأمهات المؤمنين]... وقال ضمن برنامج «الشريعة والحياة» على قناة «الجزيرة» في معرض رده على سؤال من أحد المشاهدين حول جواز تجسيد الأنبياء والرسل والصحابة في إشارة إلى مسلسل القعقاع وتجسيم شخصية أبي بكر الصديق في حلقته الثالثة: [هذا موضوع فيه كلام كثير، إنما نحن في حلقات «القعقاع بن عمرو» وأنا قرأت المسلسل وهو مسلسل رائع ويحكي تاريخ الصحابة، وما جرى يعالج قضية الفتن وهذه الأشياء معالجة طيبة، فلعل هذه الصورة أفلتت منهم لأنه المفروض في أبي بكر وعمر، والخلفاء الراشدين أن يظهروا بهالة عليهم ولا يظهروا بأنفسهم، ولعل هذه الصورة أفلتت، ولكنه مسلسل رائع فعلا].

وكذا الدكتور سلمان العودة الذي أجاز الشيخ تمثيل الصحابة بقوله: [أمر تمثيل الصحابة رضوان الله عليهم دون الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرين بالجنة أمر مختلف فيه بين الفقهاء، حيث هناك عدة آراء حيال هذا الموضوع، ولكننا نحن ننظر إلى العمل، فإذا تم تجسيد الصحابي بشكل مقبول وحسن ودون تزوير أو إساءة له ودون وجود مشاهد فاضحة، فإنه أمر حسن، أما إن كان المسلسل مسيئا للصحابي المراد تمثيله وفيه تزوير للتاريخ فإنه أمر مذموم والأولى تركه والابتعاد عنه، وعلى المنتجين وأصحاب الفضائيات والممثلين والمخرجين أن يتقوا الله تعالى ويسعوا لإظهار هؤلاء الشخصيات كما هي دون زيادة أو نقصان حتى تتحقق الفائدة المرجوة من العمل]. [1]

* * *

(1) موقع العربية نت على شبكة الانترنت.

المبحث الرابع

الترجيح

اذا نظرنا في أدله كل فريق –المانعين والمجيزين والمتوسطين.. لتمثيل دور الصحابة رضي الله عنهم أجمعين– نجد أن الفريق الأول الذين قالوا بالتحريم مطلقا، كان مستندهم بأن التمثيل يغلب عليه المفسدة، فرعاية للمصلحة وسدا للذريعة وحفاظا على كرامة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوجه ويتوجب المنع.

وأما الفريق الثاني الذين أباحوا التمثيل مطلقا مع المحافظة على الضوابط التي ذكروها، فقد نظروا أيضا الى المصالح والمفاسد في تمثيل الصحابة، وراوا بعد التجربة أن المصالح في هذا العمل تغلب المفاسد، وأن النتائج التي حققتها هذه التمثيليات على المستوى الديني كانت جيده ومشجعه، وأن ما كان يتخوفه الفريق الاول لم يظهر في هذه التجارب، وأن ظهر فيرجع هذا الى سوء طاقم العمل وليس الى الفكرة نفسها.

وأما الفريق الثالث فقد نظروا إلى أن الصحابة مختلفون في المراتب، وأن حرمه بعضهم قريبه إلى درجه الانبياء والآخرون أقل درجه، لذا أجازوا تمثيل أغلب الصحابة، واستثنوا مشاهير الصحابة، لما لهم من مكانه عالية في الدنيا والأخرة، هذه كانت أقوال الفقهاء.

ويتضح من ذلك كله –والله تعالى أعلم– أننا نرى أنه لا يجوز تشخيص أدوار الأنبياء جملة وتفصيلا، ولا أولادهم وأزواجهم الصالحات، كما يلحق بهم الخلفاء الراشدون، وكبار الصحابة كما في الكلام المفصل الذي ذكره الدكتور عبد الله مبروك النجار، أما ما سواهم فيجوز تشخيصهم في التمثيل، لما يترتب على ذلك من مصلحة شرعية، ولأن الأصل في الوسائل الإباحة ما لم يثبت ما يفيد التحريم، ولأن الدراما أصبحت اليوم من أهم الوسائل الإعلامية، والأساليب التثقيفية للأجيال المعاصرة التي لم تعد في غنى عنها، وبخاصةٍ في هذا الزمن الذي قلت فيه القرآة وضعف شغف الاطلاع، بجانب سيطرة وسائل الاتصال الحديثة الكثيرة الكتنوعة التي صرفت الناس عن الكتاب..إلخ، ولهذه الاعتبارات؛ فنحن نرى جواز التمثيل، بل نراه مستحبا إن روعيت فيه الضوابط الشرعية في عملية التمثيل والتي سنذكرها لاحقا، وساعتها سنعتبره من الجهاد الإعلامي الذي يثاب فاعله عند الله تبارك وتعالى.

والمحاذير التي أبداها المحرمون لا تقوى أن تكون مانعا، وذلك على النحو الآتي:

1- إن القول بأن تمثيل الصحابة يؤدي إلى الاستخفاف والتقليل من شأنهم، يصح أن يكون ضابطا، بمعنى أنه يحرم تمثيل أدوار الصحابة إن كان فيه استخفاف بهم، أو تقليل من شأنهم، أو الطعن فيهم، فإذا تم اتقان الأداء التمثيلي بحيث يؤدى المشهد بكل حرفية ودقة، ويكون تحت إشراف علمي دقيق، فما المانع الشرعي من ذلك؟!.

2- إن الممثل الذي يقوم بدور الصحابي يكون في الغالب سيء السمعة، سيء الأخلاق، وسوء سمعة الممثل تؤدي للإساءة لسمعة الصحابي، وهي مفسدة متفهمة، معقولة المعنى، ولكن هذه المفسدة محتملة يمكن تلافيها، بإيجاد ممثل يتسم بالصلاح وحسن السمعة.

3- وكذلك القول بأنه سيكون في التمثيل كذب، فهذا أيضا لا يمكن أن يكون مانعا، فإن الكذب في ذاته محرم، والكذب والطعن في الناس حرام، ولكن لا شك أن الكذب في حق الصحابة آكد وأشد، ومن المعلوم عند الفقهاء أن درجة الحرام ليست واحدة، فالزنى حرام، وزنى العالم أشد حرمة، والزنى بالمحارم أشد وأشد، بل إن الطاعات ليست كلها في درجة واحدة أيضا. وعلى كُلٍّ فالكذب في حق الصحابة والافتراء عليهم يعد من كبائر الذنوب، ولكن الفعل في ذاته محرم من ابتداءً، فلا يمكن تخصيصه إلا أن يؤكد عليه لشدته معهم.

4- والقول بأن المنتجين لا همَّ لهم إلاّ التربّح والتكسب، فنقول: إن كان هذا التربح والتكسب سيكون على حساب الأمانة العلمية في العرض وتشويه التاريخ فهو محرم بلا شك، ولكن لا يمكن الحكم على أن كل من ينتج عملا دراميا سيكون مثلهم، فقد دخل في هذا الميدان من يحبون الإسلام ويريدون أن يخدموه، وعندهم الاستعداد في أن ينفقوا الملايين من أموالهم لخروج عمل محترم يخدم دينهم وسيرة سلفهم الصالح، وإن كان الفقهاء أجازوا التربح من تعليم القرآن والإمامة وغيرها، فلا بأس من التربح من الأعمال الفنية، بل إن التكسب والتربح قد يساعد على استمرار المسيرة الفنية الصادقة، بشرط أن تحافظ على القيم العليا والمثل التي يجب الامتثال بها في العمل الذي يقومون به.

5- وكذلك القول بأن المنع قائم على دليل سد الذرائع، والتخوف من الإساءة لشخوص الصحابة، بسبب ضعف السيناريو، وعدم دقة التمثيل، أو اللغط في سيرهم، أو سوء أخلاق من يمثلهم، وهذا كله مما يحذر منه المؤيدون للتمثيل أيضاً، ولكنهم أجازوا التمثيل بشرط مراعاة ذلك كله.

وبعد؛ فإننا نخلص إلى الأمور الآتية:

1- لا يجوز تمثيل الخلفاء الأربعة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل حياة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم جزءا من سنته، وألحق أفعالهم بسنته، جاء ذلك في حديث العرباض بن سارية الذي رواه أبو داود والترمذي وغيرهما، وفيه: "فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ..."،[1] فإذا كان يحرم ظهور شخص النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه يلحق به الخلفاء الراشدون لجعل النبي صلى الله عليه وسلم هديهم من هديه، ولأن الأمة أجمعت على مكانة هؤلاء الأربعة بلا خلاف بينها، وجعلتهم متمايزين عن غيرهم، وفي إجماع الأمة

(1) رواه أبو داود (4607)، والترمذي (2676)، وأحمد في المسند 367/28.

على مكانتهم ما يسهم في تدعيم القول بحرمة تمثيل أدوارهم، وقد زكاهم الرسول صلى الله عليه وسلم بما لم يزكي غيرهم.

2- عدم جواز تمثيل زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته مطلقا، لأن الله سبحانه وتعالى قد خص زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بأمور كثيره، وقال تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ}[سورة الأحزاب: 32]. وأن الله حرم الزواج من زوجات النبي عليه الصلاة والسلام من بعده لقوله: {وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا} [الاحزاب:53] وعلل الله تعالى ذلك بأن هذا يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، فما بال لو ظهرت امراه تمثل زوجة النبي عليه الصلاة والسلام وقد تكشف وجهها، والأمه اتفقت على أن زوجات النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز لهن كشف وجوههن، فهذا قطعا يؤذي رسول الله عليه الصلاة والسلام.

3- ويُلحق بالخلفاء الراشدين بقية العشرة وكبار الصحابة، ومن اختلف في الصحابة أهو من المشهورين أم ليس كذلك، فيمكن حل هذه المشكلة بعدم ظهورهم، ومحاكاة أصواتهم، والابتعاد عن تمثيل ذواتهم ووجوههم.

4- يجب أن تُرَاعَى الضوابط الشرعية، التي استند إليها القائلون بالتحريم في دليل سد الذرائع.

وفيما يلي الضوابط التي يجب أن تُرَاعَى في التمثيل:

أ) إدراك ما للصحابة من فضل يجب أن يظهر في عرض أعمالهم.

ب) أن يكون هناك صدق تاريخي فيما يكتب.

ج) أن تكون هناك هيئة استشارية من علماء الحديث والتاريخ والمختصين، لاعتماد الروايات وتدقيقها وترجيحها على روايات أخرى، فمن المعلوم أن التاريخ الإسلامي شابه بعض الدخن الذي غيَّر بعض حقائقه، فالرجوع إلى أهل الذكر مهم جدا، وأهل الذكر هنا هم علماء المعنيين بالحديث والسِّيَرِ والتاريخ، كما يجب أن يستمر عمل هذه الهيئة العلمية في عملها إلى نهاية عمل الأدوار التمثيلية، وأن تقوم بمراجعته قبل عرضه على الجمهور.

د) أن يراعى بأن تكون الحبكة الفنية لا تطغى على حقيقة الواقع، مع اعتماد التقنيات الفنية، وأن يخرج عمل فني محترم بمراعاة الأدوات الفنية، فيظهر فيه الاحتراف مع التصوير الصادق.

هـ) يجب أن تراعى في الممثل حسن سيرة واستقامة القائم بالتشخيص، ويمكن عمل تغيير ما في وجهه، وفي نبرة صوته، وإدخال بعض المؤثرات الصوتية، والغرض من ذلك ألا ترتبط الصورة الذهنية بين الممثل والصحابي الذي تقوم مادة الدراما عليه، للأثر السلبي لسيرة بعض الممثلين من غير ذوي الاستقامة.

و) يجب عدم ظهور النساء حاسرات عن شعورهن وبعض أجسادهن، وغير ذلك من الضوابط الشرعية التي ذكرت في أدلة كل فريق.

هذه هي أهم الشروط لضبط التمثيل المقبول من غيره، والخروج على أي واحد منها يجعله ممنوعاً بقدر ما يكون عليه الخروج من حرمة أو كراهة.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث أسجل أهم النتائج التي توصلت إليها وفيها بعض التوصيات، وذلك من خلال النقاط التالية:

1- لا يجوز تشخيص أدوار الأنبياء عليه السلام بأي حال من الأحوال، ولا خلاف في ذلك بين جميع علماء العصر المعتبرين.

2- يلحق بهم الخلفاء الراشدون، وكبار الصحابة والمشهورون منهم، وزوجات النبي صلى الله عليه وسلم وبناته مطلقا.

3- من اختلف في الصحابة أهو من المشهورين أم ليس كذلك، فيمكن حل هذه المشكلة بعدم ظهورهم، ومحاكاة أصواتهم، والابتعاد عن تمثيل ذواتهم ووجوههم.

4- أما من سوى من تقدم فإنه يجوز تمثيلهم وتشخيصهم، بل نراه مستحبا إن روعيت فيه الضوابط الشرعية في عملية التمثيل، وذلك لما يترتب عليه من مصلحة شرعية، ولأن الدراما أصبحت اليوم من أهم الوسائل الإعلامية، والأساليب التثقيفية للأجيال المعاصرة التي لم تعد في غنى عنها.

5- يجب أن تراعى الضوابط الشرعية، التي استند إليها القائلون بالتحريم في دليل سد الذرائع، وعلى رأسها اعتماد الروايات الصحيحة والمقبولة التي اعتمدها العلماء الثقات والمختصون، ومراعاة حسن سيرة الممثل، ويمكن عمل تغيير ما في وجهه، وفي نبرة صوته، وإدخال بعض المؤثرات الصوتية، والغرض من ذلك ألا ترتبط الصورة الذهنية بين الممثل والصحابي الذي تقوم مادة الدراما عليه، للأثر السلبي لسيرة بعض الممثلين من غير ذوي الاستقامة، كما ينبغي أيضا عدم ظهور النساء حاسرات عن شعورهن وبعض أجسادهن.

6- يجب أن تكون هناك هيئة استشارية من علماء الحديث والتاريخ، لاعتماد الروايات وترجيحها على روايات أخرى، ويجب أيضا أن يستمر عمل هذه الهيئة العلمية في عملها إلى نهاية عمل الأدوار التمثيلية، وأن تقوم بمراجعته قبل عرضه على الجمهور.

هذه هي أهم النتائج والتوصيات التي توصلت لها من خلال هذا البحث وهذا الموضوع المهم وأسأل الله تبارك وتعالى أن يُوفّق الجميع لما فيه خدمة دينه القويم، وأن ينفع بهذا البحث، وأن يغفر لي ما فيه من خلل أو تقصير.. إنه حسبي ونعم الوكيل، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهى البحث ولله تبارك وتعالى الحمد والمنة